دراسة شواهد النحو الشعرية في تفسير البحر المحيط
(نموذجاً سورة الفاتحة)

اسحق رحماني :أستاذ مشارك
جامعة شيراز-ايران
محمد جواد اكبري :مدرس
كلية العلوم الإسلامية- كراش

ملخص

مع بداية ظهور تفسير القرآن الكريم بدأ الاهتمام بالشواهد النحوية بأنواعها المختلفة، ولجأ المفسرون منذ القدم إلى هذه الشواهد في فهم آي الذكر الحكيم واستفادوا منها في إثبات قاعدة نحوية وغيرها. وبعضهم وضعوا الشواهد الشعرية في المرتبة الأولى ودعّمُوا بها معظم القواعد النحوية، ومن هؤلاء المفسرين هو أبوحيان الأندلسي الذي استخدم الشواهد الشعرية في تفسيره "البحر المحيط" واحتج بها في شرح ألفاظ القرآن الكريم وإعراب كلماته. وهذه المقالة شكل من أشكال دراسةٍ نحويةٍ يعالج موضوع "شواهد النحو الشعرية في تفسير البحر المحيط".

وفي هذه الدراسة التي قد تمّت معالجة الموضوع على المنهج الوصفي التحليلي تحاول أن تبيّن دور علم النحو، وشواهد النحو الشعرية في تفسير القرآن الكريم، ومدى تأثر أبي حيان بالشواهد الشعرية، وموقفه من المذاهب النحوية وغيرها.

إن نتائج الدراسة دالّة على أن تفسير البحر المحيط مرجع مهم في معرفة وجوه الإعراب لألفاظ القرآن الكريم، وأن الشواهد الشعرية لعبت دورا مهما في تفسير القرآن واعتمد عليها أبوحيان في بناء الكثير من القواعد ولجأ إليها في إصدار العديد من الأحكام، وإنه ذهب إلى مذهب البصريين ورأى آرائهم وأصولهم هي الراجحة في كثير من الأحيان وخالف الكوفيين في معظم المسائل النحوية، واستشهاده بالشواهد الشعرية فقد جاء لبيان معنى لغوي أو قاعدة نحوية أو إعراب آية أو توجيه قراءة، وكان أكثر مناقشاته مع الزمخشري وابن عطية.

الكلمات المفتاحية: أبوحيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، شواهد النحو الشعرية.

Abstract

With the beginning of Quran interpertation, various syntactic evidence was considered as an important tool. In order to understanding Quran verses interpreters consider syntactic evidence and used them for proving and interpret a syntactic rule. Some of these interpreters put evidence poem in the first place and and strengthen and reinforce many syntactic rules. One of interpreters is Andolusian Abu Hayyan that in Al-Bahr Al-Muheatinterpretion use them and in explaination and functions of the words have been considered. This thesis is a kind of syntactic research that assesses syntactic poem evidence in first part of Quran in Al-Bahr Al-Muheatinterpretion.

This thesis is based on the analytical method to investigate the role of syntax interpretaion and poetic syntactic of the Holy Quran and the effect of poetic evidence and his evedince. Point of view in syntactic schools will analysis. After that he pointed out to books which are about syntactic poetic evidence. Then it describes about Abu Hayyan biography and his methods in intepretation of 118 syntactic evidence of per-islamic and islamic and points of view of syntax scholars about evidences and Abu Hayyan's points of view.

Research findings indicate that the Al-Bahr Al-Muheat interpretation is an important source for knowing the functions and words of the Holy Quran. Among them poetic evidence has had an important role and Abu Hayyan has evidenced them and he was the follower of Basri school and much of the time and he has rejected kuffian views in many syntactic problems. He has used poetic evidences in order to express a meaning and a syntactic rule a function of a verses and justification of a reading and is mostly indisput with Zamakhshary and Ibn-Atteyeh.

Key words: AbuHayyan-e-Andolosi, Al-Bahr Al-Muheat interpretation, syntactic poetic evidence.

1-1- بيان المسألة

حرص المسلمون على حفظ القرآن وتفهم معانيه كما حرصوا على العمل به وتطبيقه والوقوف عند أحكامه، وبذل العلماء – قديما وحديثا – جهودا مشكورة في خدمة كتاب الله عز وجل تعلما وتدريسا، تفسيرا وبيانا، تصنيفا وتأليفا، في نواحي مختلفة ومشارب متنوعة .

فصنف العلماء في تفسير القرآن جيلا بعد جيل، فكثرت كتب التفسير، وتنوعت اتجاهاتها، وتعددت مشاربها، وكان العلماء يستفيدون من علم النحو في تفسير آيات القرآن الكريم ويستخدمون الشواهد الشعرية لبيان قاعدة نحوية لأنها

تعد المرجع الموثوق به لأساليب العرب البلاغية والبيانية والمصدر الأصيل لمفرداتهم اللغوية وطرقهم التعبيرية، فضلا عما يحويه الشعر العربي من مآثر العرب ومفاخرها، وأحداث أيامها ووقائعها، فهو الوثيقة الرسمية الأولى التي دونت تاريخ العرب الوجداني والاجتماعي منذ بزوغ الجنس العربي ونبوغ عقليته.

وكما اهتمت القبيلة العربية بالشعراء وأشعارهم اهتم المفسرون على اختلاف توجهاتهم وتباين مناهجهم بالشعر، وقاموا بتوظيفه في تفسير النص القرآني الكريم وكشف ما فيه من غريب الألفاظ وغامض المعاني، فالقرآن نزل بلسان عربي مبين، ومن ثم كانت معرفة اللغة وأسرارها شرطًا أساسيًا من شروط من يتصدر للتفسير. قيل: وأما من لم يعرف وجوه اللغة فلا يجوز أن يفسره إلا بمقدار ما سمع فيكون ذلك على وجه الحكاية لا على وجه التفسير.

فكان معظم المفسرين ومن قبلهم النحويون يلجأون إلى الشواهد الشعرية لتفسير غريب ألفاظ القرآن،كما نرى في تفسير مجمع البيان للطبرسي والتبيان في تفسير القرآن للشيخ الطوسي وجامع البيان للطبري والكشاف للزمخشري و... ومن بين تلك الكتب: " تفسير البحر المحيط" لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي، - من علماء القرن السابع للهجرة - ولهذا التفسير منزلة رفيعة بين أمهات كتب التفسير، فمؤلفه من الائمة الأعلام، فقد حفظ القرآن الكريم في أول حياته، ثم حفظ الكثير من المتون في القراءات، والنحو، والصرف، والفقه وأصوله، كما قرأ في المطولات والشروح، ورحل كثيرا في طلب العلم فكثر شيوخه، ثم اشتغل بالتدريس والتعليم وإفادة الطلبة فانتفع به أهل زمانه ومن بعدهم، كما كتب مؤلفات عديدة بين كبير وصغير في علوم متنوعة وفنون أخرى.

ثم إن تفسيره "البحر المحيط" شامل لتفسير كتاب الله عز وجل مع العناية بالعلوم الأخرى الخادمة له، وقد بذل فيه مؤلفه كل جهوده واعتكف على تصنيفه بقية عمره، فكان هذا التفسير من أجل كتب التفسير بشهادة العلماء له وإفادة الناس منه .

ولأبي حيان في تفسيره هذا اجتهادات واختيارات، وشخصية واضحة بارزة تدل على إلمامه بكثير من العلوم في التفسير والقراءات واللغة والنحو والتصريف والفقه وأصوله والحديث ورجاله وغير ذلك من العلوم الأخرى .

ومن ينظر إلى هذا الكتاب يلاحظ لأول وهلة طابع العناية باللغة والنحو والصرف فلا يغادر لفظة حتى يبين معناها اللغوي وعللها الصرفية وأوجهها الإعرابية كما يقول الدكتور محمد حسين الذهبي في هذا المجال:« ... قد أكثر من مسائل النحو في كتابه، مع توسعه في مسائل الخلاف بين النحويين، حتى أصبح الكتاب أقرب ما يكون إلى كتب النحو منه إلى كتب التفسير» (الذهبي، 2000/ 1:226).

وهذا الكتاب غني بشواهد النحو الشعرية، وكان أبوحيان يستفيد منها في تفسير آي الذكر الحكيم وتفهم معانيه وإدراك أسراره، وكانت للشواهد عنده مكانة رفيعة في بناء القواعد النحوية، وكان يكثر الاحتجاج بها في خلال توضيح معاني الألفاظ القرآنية، ولا يكاد أبو حيان يتناول كلمة من حيث إعرابها إلا ويأتي عليها بشاهد من الشواهد العربية .

ولهذا فهو يرى أن المشتغل بعلم التفسير لابد له من المعرفة بعلوم اللغة العربية وفي ذلك يقول: « النظر في تفسير كتاب الله تعالى من وجوه: الوجه الأول: علم اللغة اسماً وفعلاً وحرفاً، والحروف لقلتها تكلم على معانيها النحاة فيؤخذ ذلك من كتبهم، وأما الأسماء والأفعال فيؤخذ ذلك من كتب اللغة.

الوجه الثاني: معرفة الأحكام التي للكلم العربية من جهة إفرادها، ومن جهة تركيبها، ويؤخذ ذلك من علم النحو » (أبو حيان، 1993 / 106-105).

فيعد هذا التفسير مرجعا مهما في معرفة وجوه الإعراب لألفاظ القرآن الكريم عند أهل العلم، لأن مؤلفه كان من أعلام النحاة و كان القدماء يطلقون على أبي حيان لقب "أمير المؤمنين في النحو، ويعدونه شيخ النحاة،كما ذكرته الحديثي في كتابه «... أما النحو فهو إمام الناس كلهم فيه لم يذكر معه في أقطار الأرض غيره في حياته...» (الحديثي، 1966 / 62).

1-2- أهمية وضرورة البحث

بما أن الشواهد الشعرية ذخيرة لغوية ثمينة، وتشكل قسما مهما من التراث اللغوي والنحوي في الأدب العربي، وحول هذه الشواهد دارت اختلافات النحاة في مذاهبهم النحوية المختلفة، وربما على هذه الشواهد صيغت قواعد النحو العربي - نظرا إلى هذه الأهمية - أقبل عليها المفسرون والباحثون من القديم وألفوا كتبا فيها، ومن أبرز المصادر والمراجع التي تمثل دورا مهما في هذا الجانب هو تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، فمؤلفه قد أكثر من ذكر المسائل النحوية وتوسع فيها غاية التوسع وذكر مسائل الخلاف فيها حتى كاد الكتاب أقرب ما يكون كتاب نحو من كتاب التفسير لاسيما بذكر الشواهد الشعرية التي تمسك بها المؤلف في تفسيره واحتج بها في اللغة والنحو خلال توضيح معاني الألفاظ القرآنية، وكانت للشواهد عنده مكانة عليا في بناء القواعد النحوية .

1-3- الدراسات السابقة

من ينظر إلى تفاسير القرآن يجد أن المفسرين كانوا يهتمون بالنحو واللغة والقواعد

العربية ويحتجون بالشواهد الشعرية في تفاسيرهم، كما عني النحاة وعلماء العربية بالشواهد الشعرية واعتمدوا عليها في بناء الكثير من القواعد وإصدار العديد من الأحكام ولجأوا إليها في شرح غوامض اللغة وتوضيح معانيها وإحكام أصولها، فلا شك في أن الشواهد الشعرية من أهم مصادر الاستشهاد عند العلماء والنحويين، ونظرا إلى هذه الأهمية، أقبل عليها الباحثون القدامى جمعا وتصنيفا وشرحا وإعرابا وتبيانا لمواضع الشواهد فيها كما نرى في "الكتاب " لسيبويه وشروحه و"شرح الأشموني" لألفية ابن مالك و"المقرب" و"شرح جمل الزجاجي" لابن عصفور و"شرح الرضي على الكافية والشافية" للأستراباذي و"شرح أبيات سيبويه" للنحاس و"رصف المباني" للمالقي و"همع الهوامع" للسيوطي و"الدرر اللوامع" للشنقيطي و"شرح أبيات المغني" للبغدادي و ... .

أما في العصر الحديث فظهرت معاجم للشواهد الشعرية نحو "معجم شواهد العربية" لعبد السلام محمد هارون و"معجم شواهد النحو الشعرية" لحنا جميل حداد وكتابين لإميل بديع يعقوب أحدهما: "المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية"، والثاني: "المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية".

ولكننا لم نحصل على أي كتاب أو رسالة ربما يكون قد تحدث عن الشواهد الشعرية في تفسير البحر المحيط مستقلا إلا كتاب "الدر المصون في علوم الكتاب المكنون" للسمين الحلبي، فمؤلفه تبع منهج أستاذه أبي حيان في كتابه وتعرض للقراءات المشهورة والشاذة ولم يترك وجها غريبا من الإعراب تنبيها على ضعفه حتى لايغترّ به من اطلع عليه، وذكر كثيرا من المناقشات الواردة على العلماء وفي النهاية استشهد بالشواهد الشعرية في إظهار وتوضيح المسائل النحوية والصرفية واللغوية وغيرها .

أما الكتاب الذي تناول الشواهد الشعرية فقط في التفاسير- على حسب اطلاعنا- فهو كتاب "شرح شواهد مجمع البيان" للقزويني، ففي هذا الكتاب تحدث المؤلف عن الشواهد الشعرية التي استفاد بها الطبرسي في تفسيره مجمع البيان ثم شرح المؤلف هذه الشواهد من الناحية النحوية والصرفية وغيرهما .

1-4- هدف البحث

يمثل النحو خطوة كبيرة في العناية بالقرآن الكريم والمحافظة على سلامته. والروايات التي تثبت وقوع بعض الأخطاء اللغوية والإعرابية في قراءة القرآن كثيرة، وكلها تجمع بأن اللحن وما ترتب عليه من الخطأ في النطق واختلال الألسنة كان سببا فعالا في نشأة النحو. فوظيفة هذا العلم لا تقتصر على ضبط الكلمات ومعرفة المرفوع والمنصوب والمجرور والمبني والمعرب وإنما تتسع إلى توجيه النصوص والتحكم في دلالتها ومقاصدها.

فالنحو لعب دورا مهما في تفاسير القرآن منذ القدم، وكان من أهم العلوم التي استعانها المفسرون في شرح ألفاظ القرآن الكريم ومعرفة كلماته ومشتقاته . ومما ساعد المفسرين والعلماء في الاحتجاج به في اللغة والنحو هي الشواهد الشعرية، حيث تسهل الفهم وتعين في وضع قواعد النحو .

ويمكن القول بأن الهدف الذي يعقبه هذا البحث فيما يلي:

- دور علم النحو وشواهده الشعرية في تفسير القرآن الكريم والوقوف على المسائل النحوية للشواهد الشعرية التي استشهد بها أبوحيان.

- ذكر رأي أبوحيان في تلك الشواهد، وكذلك الآراء الواردة في تلك الشواهد من كتب تفسير القرآن الكريم وإعرابه ومعانيه، ومن كتب النحو والصرف واللغة، وتوثيق تلك الآراء من مظانها الأساسية.

- مساعدة القارئ في فهم الآيات القرآنية من حيث المعاني وخصائص اللغة وأسرارها والحالات التي يمكن أن تفيد الكلمة ومعانيها المختلفة، والصيانة عما وقع فيه كثير من الناس من الأخطاء لعدم تعمقهم في اللغة والنحو وجهلهم بأساليب العرب .

1-5- منهج البحث

أما المنهج الذي أُعتمِد عليه في هذا البحث فهو المنهج الوصفي التحليلي، فقد ذُكر أولا، الآيات التي استشهد لها أبوحيان بشواهد النحو الشعرية في تفسيره البحر المحيط، مرتبا على رقم الآيات، ثم أوتي بالشاهد الشعري كما ورد في البحر المحيط مع ضبط إعرابه، فأشير إلى موضع الشاهد ومضمونه النحوي بشيء من الإيجاز، ثم قائله إذا كان منسوبا، فالمصدر الذي نَسبَهُ إلى هذا القائل بادئا بديوان الشاعر، ثم شُرحت الكلمات الصعبة ومعنى الشاهد من الأبيات والأراجيز مستعينا بدواوين الشعراء والمعاجم اللغوية بقدر الوسع واستطاعة، ثم نُقلت الآراء والأقوال المختلفة حول الشاهد وموقف العلماء والنحاة فيه، وأخيرا تبيّنَ رأي أبي حيان في هذا المجال أو القول الذي اختاره ورجحه على غيره .

1-6- سؤال البحث

غاية هذه المقالة هي الإجابة على الأسئلة التالية:

-أي مكان تحتلّه الشواهد الشعرية في تفسير البحر المحيط ؟

-هل استشهد أبوحيان في تفسيره من طبقات الشعراء كلها أم من طبقة خاصة ؟

-في أي مسألة من المسائل النحوية كان يكثر الاحتجاج بالشواهد الشعرية ؟

2-1- حياته

هو أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان

الغرناطي الأندلسي الجياني النفزي. قد اتفق معظم المؤرخين على هذا النسب واللقب له، ولكن أبو الفداء وابن الوردي والسيوطي يسمونه : «أبا حيان المغربي » (السيوطي، 1361هـ / 10:4) .

ولد أبو حيان في العشر الأخير من شوال سنة 654 وهي توافق سنة 1256م في غرناطة.وطالت الحياة بأبي حيان الغرناطي فتجاوز التسعين، قضاها متنقلاً من أرض إلى أرض، كما قاضها متنقلاً بين العلوم من فن إلى آخر، حتى لقي الله يوم السبت بعد العصر الثامن والعشرين من صفر سنة 745هـ ودفن بمقبرة الصوفية خارج باب النصر في القاهرة، وصلّي عليه بالجامع الأموي بدمشق صلاة الغائب في شهر ربيع الآخر. (راجع: الصفدي، 1998/ 5: 327) .

2-2-ثقافته

تذكر المصادر أن أبا حيان قد تلقى علومه الأولى في مسقط رأسه غرناطة على شيوخ عصره ولاشك أن الغرناطة كما تحدثنا كتب السير والأعلام أنها حافلة بمدارس العلم المختلفة وأساتذة الحديث والفقه واللغة والأدب آنذاك وفي ظل هذا الجو العلمي نشأ أبو حيان وأغلب الظن أنه ابتدأ بدراسة القرآن والحديث وعلوم اللغة العربية، وأقبل على طلب العلم بجد ونشاط منذ نعومة أظفاره وبذل في سبيل ذلك وقته وعمره وزهرة شبابه، فأخذ العلم من أعظم شيوخ عصره وفحول أساتذة الأندلس وغيرها .

فلقد تلقى أبو حيان كثيرا من كتب أهل اللغة ودواوين الشعر وحفظ كثيرا منها كما أنه حفظ في صغره في علم اللغة كتاب "الفصيح" لأبي العباس أحمد بن يحيى الشيباني، واللغات المحتوى عليها دواوين مشاهير العرب الستة امرئ القيس، والنابغة، وعلقمة، وزهير وطرفة، وعنترة واللغات التي تضمنها قصائد مختارة من شعر حبيب بن أوس واللغات المحتوى عليها نحو الثلث من كتاب الحماسة، ومن الموضوعات في الأفعال كتاب أبن القوطية و... كما أنه تلقى علوم البلاغة بأنواعها الثلاثة البيان والمعاني والبديع على أستاذه أبي جعفر بن الزبير، كما أشار - رحمه الله – إليها في مقدمة البحر بأنه قد أخذ جملة من هذا الفن عن أستاذه أبن الزبير (راجع : الحديثي السابق، 1966 / 66) .

وكان لأبي حيان أثر عظيم في الحركة العلمية في عصره، وكان إماما من عظماء الأئمة الأخيار وأستاذا من أجل أساتذة عصره، وكان يرحل إليه تلاميذ نجباء وطلبة أذكياء في مشارق الأرض ومغاربها، قال ابن حجر :«وكان له إقبال على أذكياء الطلبة يعظمهم وينوه بقدرهم » (ابن حجر، دت / 4: 303) .

وقد انتفع بعلومه خلق كثير وأصبحوا فيما بعد من أكابر الفقهاء والشيوخ العظام . قال تلميذه السبكي:«وكان الشيخ أبوحيان إماما منتفعا به، اتّفق أهل العصر على

تقديمه وإمامته، ونشأت أولادهم على حفظ مختصراته، وآباؤهم على النظر في مبسوطاته، وضربت الأمثال باسمه، مع صدق اللهجة وكثرة الإتقان والتحري » (السبكي، دت / 9: 279) .

على كل حال كان أبوحيان نحوي عصره ولغويه ومفسره ومحدثه ومقرئه ومؤرخه وأديبه . ومعنى هذا أنه كان على جانب عظيم من الثقافة والأطلاع ، وقد قال القدماء عنه بأنه : «ثبت فيما ينقله، محرر لما يقوله، عارف باللغة، ضابط لألفاظها. أما النحو فهو إمام الناس كلهم فيه لم يذكر معه في أقطار الأرض غيره في حياته، وله اليد الطولى في التفسير والحديث والشروط والفروع وتراجم الناس وطبقاتهم وحوادثهم خصوصا المغاربة وتقييد أسمائهم على ما يتلفظون به من أمالة وترقيق وتضخيم لأنهم يجاورون بلاد الإفرنج وأسماؤهم قريبة من لغاتهم وألقابهم وله التصانيف التي سارت وطارت وانتشرت وما انتثرت ... وهو الذي جسر الناس على مصنفات ابن مالك ورغّبهم في قراءتها وشرح لهم غامضها وخاض بهم لججها وفتح لهم مقفلها و... » (حمود ، 2003 / 189) .

3- شواهد النحو الشعرية في سورة فاتحة الكتاب

﴿بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ (1)

فأمّا إذَا عَضَّتْ بكَ الأرضُ عَضَّةً فَإنّكَ معطوفٌ عليكَ رَحيمُ

قائله : العملس بن عقيل نقلا عن الدر المصون (السمين الحلبي، د ت / 1: 33).

الشاهد فيه قوله: "رحيم" حيث جاء رحيم بمعنى مرحوم .

يذكر أبو حيان﴿الرحيم﴾ فعيل محوّل من فاعل للمبالغة، وهو أحد الأمثلة الخمسة وهي فعّال وفَعُول ومِفعال وفَعِيل وفَعِل، وزاد بعضهم فِعِّيلا فيها نحو سِكِّير، ولها باب معقود في النحو، وقيل: وجاء "رحيم" بمعني "مرحوم"، وذكر ابن كثير وصاحب الدر المصون بعد الإتيان بهذا البيت : « وفعيل يكون بمعنى الفاعل والمفعول » (السمين الحلبى، د ت / 1 : 33 وابن كثير، 1998 / 1 : 39 والقرطبي، 1364ش / 1: 105).

﴿مَالِكِ يومِ الدِّينِ﴾ (4)

رُبَّ ابنِ عمٍّ لسُلَيمى مُشْمَعِلّ طبَّاخ ساعاتِ الكَرى زادَ الكَسِلْ

الشاهد فيه أن " ساعات" كان في الأصل مفعولا فيه، فاتسع فيه للجر، فألحق بالمفعول به، وأضيف إليه "طباخ" فكسرة التاء من "ساعات" كسرة جر، و"زاد الكسل" منصوب على أنه مفعول "طباخ" لأنه معتمد على موصوفه. فأستشهد به في إضافة "مالك" إلى يوم الدين .

قائله : الشماخ بن ضرار (ابن ضرار، 1327هـ / 109).

يذكر أبوحيان قراءات مختلفة لكلمة "مالك " في قوله تعالى: ﴿مالك يوم الدين﴾، منها: مَلِكِ، ومَلْك، ومَلْكي بإشباع كسرة الكاف، ومِلْك، ومَلِكَ يوم الدين، ومَلَكَ يومَ الدين فعلا ماضيا، ومالِكَ و مَلِكاً بالنصب والتنوين ومالِكُ يومَ الدين، ومالكُ يوم الدين، ومليكُ، وقرئ في الشاذ ملّاك، ثم بعض الوجوه المرجحة تنبيهاً على معنى اللفظ لا على الوجه الذي قَصدوه، فمِمَّا رُجّحت به قراءةُ "مالك" وقراءةُ "مَلِك"، ومن قرأ "ملك" بجر الكاف، فكونُ "مَلِك" نعتا للّه تعالى ظاهر، فإنه معرفة بالإضافة، وأما "مالك" فإن أريد به معنى المضيّ فجَعْلُه نعتاً واضح أيضا، لأن إضافته محضة فيتعرَّف بها، ويؤيد كونَه ماضيَ المعنى قراءةُ مَن قرأ: "مَلَكَ يومَ الدين"، فجعل "مَلَك" فعلا ماضيا، وإن أريد به الحالُ أو الاستقبالُ فيُشكِلُ، لأنه: إما أن يُجعَل نعتا للّه ولا يجوز لأن إضافةَ اسم الفاعل بمعنى الحال أو الاستقبال غيرُ محضةٍ فلا يُعرَّف، وإذا لم يتعرَّف فلا يكون نعتا لمعرفةٍ، لِما عُرف فيما تقدم من اشتراط الموافقة تعريفا وتنكيرا، وإما أن يُجعَل بدلا وهو ضعيفٌ لأن البدل بالمشتقات نادر. والذي ينبغي أن يُقال: إنه نعتٌ على معنى أنّ تقييدَه بالزمان غيرُ معتبرٍ، لأنَّ الموصوف إذا عُرِّفَ بوصفٍ كان تقييدُه بزمان غيرَ مُعتبرٍ، فكأنَّ المعنى أنّه متصف بمالكِ يومِ الدين مطلقا، من غير نظرٍ إلى مضي ولا حال ولا استقبال، وإضافة "مالك" و"مَلِك" إلى "يوم الدين" من باب الاتساع، إذ متعلقهما غير اليوم، والتقدير: مالكِ الأمرِ كله يومَ الدين. ونظير إضافة "مالك" إلى الظرف هنا نظير إضافة "طبّاخ" إلى "ساعات" من قول الشاعر:

رُبَّ ابنِ عمٍّ لسُليمَى مُشمَعِلّ طبّاخُ ساعاتِ الكَرى زادَ الكَسل

إلا أن المفعول في البيت مذكور وهو "زادَ الكَسِل"، وفي الآية الكريمة غير مذكور للدلالة عليه. ويجوز أن يكون الكلام على ظاهره من غير تقدير حذْفٍ (راجع : أبوحيان، السابق/1: 138-136 والسمين الحلبي، د ت/1: 51-48 والسيرافي، 1974 /1: 12 و ثعلب، 1960 / 126) .

أما أبو حيان فيبدو بأنه يرجح القولين الأخيرين ويرى ترجيحَ إحدى القراءتين على الأخرى غيرَ مرضي وليس بمحمود لأن كلتيهما متواترة، ولم يرد القراءات الأخرى .

﴿صِراطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَ لا الضَّالِّينَ﴾ (7)

أبَى اللّهُ إلّا أن سَرحَةَ مالِك على كلِّ أفنانِ العِضاهِ تَروقُ

قائله: حميد بن ثور الهلالي (ابن ثور، 1965 / 41)

الشاهد فيه قوله : "على كل أفنان العضاة تروق" حيث زاد "على" لأن الفعل "راق" يتعدى بنفسه، أي تروق كل أفنان العضاة .

يقول أبو حيان في شرح كلمة "على" بأنها حرف جر عند الأكثرين إلا جُرّت بمِن نحو قول الشاعر:

غَدتْ مِن عليهِ بَعدَ ما تَمَّ ظمؤُها تَصِلُّ وعن قَيضٍ بِزيزاءَ مَجْهَلِ

ومعناها معنى فوق، أي من فوقه . أو كانت في نحو هوِّنْ عليك كقول الشاعر:

هَوِّنْ عليكَ، فإنَّ الأمورَ بكفِّ الإلهِ مقاديرُها

وفي هذا المجال يشير السيوطي إلى هذا البيت في كتابه الأشباه والنظائر ويقول: «أن "على" اسم منصوب بهوِّن، لا حرف متعلق بهوّن، لأن الكاف على التقدير الأول مخفوضة بإضافة "على" ولا عمل فيها البتة، وعلى التقدير الثاني منصوبة الوضع بالفعل ولا يجوز تعدي فعل المضمر المتصل إلى ضميره المتصل» (السيوطي، د ت / 4 : 81).

ثم يذكر أبو حيان المعاني المختلفة لِعَلَى حتى يصل إلى أنها زائدة ويستشهد بهذا البيت لحميد بن ثور (راجع : أبو حيان، السابق/ 1:145 ويعقوب، 1992 / 2:597 والسمين الحلبي، السابق / 1 : 70-69 والسيوطي، 1992 / 4: 187).

وذكر ابن هشام في شرح هذا البيت حين يعد معاني مختلفة لكلمة "على" يصل إلى أنها تكون زائدة للتعويض، أو غيره، ثم يأتي بشاهدين في كونها زائدة ويستدل بقول حميد في أنها غير زائدة حيث يقول : «قاله ابن مالك، وفيه نظر، لأن راقه الشيء بمعنى أعجبه، ولا معنى له هنا، وإنما المراد تعلو وترتفع » لأنَّ "على" إذا كانت زائدة يكون مجرورها مفعول تروق، فيكون حاصل البيت: إن شجرة مالك العظيمة تعجب أغصان شجر العضاة، وهذا لا معنى له، و إنما المراد تعلو على سائر غصون العضاة. ورفَضَ بكونها إسما في قول الشاعر: "هَوِّن عليك فإنَّ ..." و قدَّر التعلق بمحذوف أو على حذف مضاف في البيت، أي هون على نفسك (راجع :ابن هشام، 1370 ش / 1:194-192 والبغدادي، 1989 / 3 : 248- 247 والسيوطي، 1992 / 4 : 188).

وجاء في المورد الكبير :« ... وقيل : إن "على" زائدة لأن تروق يتعدى بنفسه . وفيه نظر، لأن يقال : راق فلان على فلان، إذا زاد عليه فضلا» (قباوة، 1978 / 201).

وذكر الأشموني :«أنها زائدة لغير تعويض، وهو قليل » (الأشموني، 1955 / 294) .

فإن أبا حيان يستشهد بهذا البيت في مجيء "على" زائدة، ويراها كالجمهور بأنها مترددة بين الحرفية والاسمية، والأصل فيها أنها حرف .

﴿صِراطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَ لا الضَّالِّينَ﴾ (7)

مَا كَانَ يَرضَى رَسُولُ اللّهِ فِعلَهُمُ وَالطَّيِّبانِ أَبُوبَكرٍ وَلا عُمَرُ

فَمَا أَلُومُ البِيضَ أَلّا تَسخَرا وَقَد رَأَينَ الشَّمَطَالقَفَندَرا

وَ يَلْحَيْنَنِي فِي اللَّهْوِ أَنْ لا أُحِبُّهُ وَ لِلَّهْوُ دَاعٍ دائبٌ غَيرُ غَافِلِ
أَبَى جُودُهُ لا البُخْلَ وَ استَعْجَلَت بِهِ نَعَمْ مِن فَتًى لا يَمنَعُ الجُودَ قَاتِلَهْ

قائلها :البيت الأول لجرير بن عطية الخطفي (جرير، 1986 / 201) والبيت الثاني لأبي النجم العجلي (أبو النجم، 2006 / 179). والبيت الثالث للأحوص الأنصاري (الأحوص، 1990 / 224) والبيت الرابع مجهول القائل نقلا عن مغني اللبيب (ابن هشام، 1370ش / 1: 327) .

الشاهد فيها مجيء "لا" زائدة في: "لا عمر" و"ألا تسخرا" و"أن لا أحبه" و"لا البخل"

هذه الأبيات تكون شواهد لقراءة ﴿غير﴾ منصوبا في الآية الكريمة، فبعد أن يذكر القراءات المختلفة لغير يقول : وقرئ "غير" نصبا، فقيل: حال من ﴿الذين﴾، وقيل: من الضمير في "عليهم" وقيل: على الاستثناء المنقطع، ومنعه الفراء من أجل لا في قوله تعالى:﴿ولا الضالين﴾ ولم يسوغ في النصب غير الحال قال: لأن "لا" لا تُزاد إلا إذا تقدمها نفي، كقوله في البيت الأول، ومن ذهب إلى الإستثناء جعل "لا" صلة : أي زائدة، مثلها في قوله تعالى:﴿ما منعك أن لا تسجد﴾وقول الشاعر في البيت الثاني والثالث والرابع.

ف "لا" في هذه المواضع صلة. وفي هذا الجواب نظر، لأن الفراء لم يقل أنها غير زائدة، فقولهم: إن "لا" زائدة في هذه الآية وتنظيرهم لها بالمواضع المتقدمة لا يفيد وإنما تحرير الجواب أن يقولوا: وجدت "لا" زائدة من غير تقدم نفي كهذه المواضع المتقدمة. وتحتمل أن تكونَ "لا" في قوله: "لا البخلَ" مفعولا به لـ "أبى"، ويكونَ نصب "البخلَ" على أنه بدل من "لا"، أي أبى جوده قول لا، وقول لا هو البخل، ويؤيد هذا قوله: "واستعجلت به نعم" فجعل "نعم" فاعل "استعجلت"، فهو من الإسناد اللفظي، أي أبى جوده هذا اللفظ، واستعجل به هذا اللفظ. ويقول ابن هشام: «"لا" الزائدة الداخلة في الكلام لمجرد تقويته وتوكيده . وذلك في رواية من نصب البخل، فأما من خفض ف"لا" حينئذ اسم مضاف، لأنه أريد به اللفظ . ...

وقيل : هي غير زائدة أيضا في رواية النصب، وذلك على أن تجعل "لا" اسما مفعولا، والبخل بدلا منها، وقال آخر : "لا" مفعول به، والبخل مفعول لأجله، أي كراهية للبخل مثل ﴿يبين الله لكم أن تضلوا﴾ أي كراهية أن تضلوا» (ابن هشام، 1370ش / 1: 327-328).

وأورد البغدادي في كتابه : «على أن "لا" فيه أيضا زائدة على وجه من أوجه رواية نصب البخل، ومحصل ما روي في البخل وجهان : النصب والجر، ومحصل ما قيل في النصب ثلاثة أقوال: كون "لا" زائدة، وكونها اسما، والبخل بدل، وكونها اسما أيضا والبخل مفعول لأجله بتقدير مضاف، وما قيل في الجر وجه واحد وهو كون "لا" اسما

أريد به اللفظ وهو مضاف والبخل مضاف إليه» (البغدادي، 1989 / 5 : 20-18).

وقيل: إن نصب "غير" بإضمار أعني، وقدر بعضهم بعد "غير" محذوفا، قال: التقدير: غير صراط المغضوب، وأطلق هذا التقدير، فلم يقيّده بجر "غير" ولا نصبه، ولا يتأتّى إلا مع نصبها، وتكون صفة لقوله:﴿الصّراط المستقيم﴾ (راجع : أبوحيان، السابق / 1: 150-149 والسمين الحلبي، السابق /1: 74- 72 والطبري، د ت / 1 : 192-190 والطوسي، د ت / 1 : 45) .

أما أبو حيان فيعتقد أن جعْلَ "غير" حالا من ﴿الذين﴾ ضعيف لمجيئه من المضاف إليه في غير المواضع الجائز فيها ذلك . و في رد من زعم "غير" منصوبا على النعت لقوله: ﴿الصّراط المستقيم﴾ يرى أن هذا القول ضعيف أيضا، لأنه متى اجتمع البدل والوصف قدم الوصف، فالأولى أن يكون صفة لـ ﴿صراط الذين﴾ ويجوز أن تكون بدلا من ﴿الصراط المستقيم﴾ أو من ﴿صراط الذين﴾ إلا أنه يلزم منه تكرار البدل، وفي جوازه نظر.

﴿صِراطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِم وَ لا الضَّالِّينَ ﴾ (7)

وَ لِلأرضِ أمَّا سُودَهَا فَتَجلَّتِ بَياضاً وَ أمَّا بَيضُها فَادهَأمَّتِ

قائله: كثير عزة (كثير عزة، 1971، 323). جاء في ديوانه: "فتَجلّلتْ" مكان "فتجلّتِ".

الشاهد في قوله : "فادهأمت"، وأصله: ادهامّ، ففُرّ من التقاء الساكنين في المتصل بإبدال همزة مفتوحة من الألف، مستدلا به في قراءة "ولا الضالين" بإبدال الألف همزة في الآية الكريمة فرارا من التقاء الساكنين .

يستدل أبوحيان بهذا البيت في قراءة الضّأّلّين بهمز الألف، شاذا وابدال الألف همزة فرارا من التقاء الساكنين كما ذكره اميل بديع يعقوب في كتابه :«والشاهد فيه قوله " فادهأمت" وأصله :ادهامّ، ففرمن التقاء الساكنين في المتصل بإبدال همزة مفتوحة من الألف. ويروى " فاسوأدّت " وفيه الشاهد نفسه »(يعقوب، 1992 / 1:150 والشنقيطي، 1999 / 2 : 554 والمالقي، 2002 / 146 وابن جني، د ت / 74).

وجاء في الدر المصون أيضا :« قال أبو القاسم الزمخشري: فعلوا ذلك للجَدّ في الهرب من التقاء الساكنين» (السمين الحلبي، السابق / 1:75).

ويعتقد أبو حيان بأن هذا الإبدال فلا ينقاس لأنه لم يكثر كثرة توجب القياس وإن ورد بعض الكلمات في كلام العرب نحو: دأبة وشأبة و... ولكنها شاذة وقليلة .

4- الخاتمة

إن تفسير البحر المحيط مرجع مهم لمن يريد أن يقف على وجوه الإعراب لألفاظ القرآن الكريم، فقد سلك أبوحيان فيه طريقة ربما تكون منفردا، إذ الناحية النحوية أبرز

ما فيه من البحوث التي تدور حول آيات الكتاب العزيز. وإن أباحيان وإن غلبت عليه الصناعة النحوية في تفسيره لكنه سلك سبيل المفسرين في الجمع بين التفسير والإعراب.

وعلى هذا وجد الإنسان نفسه أمام مسائل نحوية كثيرة مبثوثة في صفحات هذا التفسير ذكرها أبوحيان مع غيرها من مسائل أخرى من بيان للمعاني اللغوية للمفردات، وذكر القراءات الواردة مع توجيهها، والنواحي البلاغية، وغيرها . هذه المسائل مجتمعة ذكرها ليستعين بها على تفسير الآيات القرآنية وتوضيح ألفاظها والكشف عن الأحكام التي تضمنتها تلك الآيات الكريمة.

ولأبي حيان اهتمام ظاهر بالشعر و روايته، فقد استشهد في تفسيره بشواهد كثيرة من الأشعار والأرجاز في اللغة والنحو، وإنه لم يستشهدإلّا بشعراء الطبقات الثلاث الأول وهي طبقة الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين مع ميل واضح للاستشهاد بشعر طبقة الجاهليين والمخضرمين أكثر من شعر الطبقة الأخرى . أما شعر المولدين فلم يستشهد به، وأما ما ورد منه في تفسيره ليبين مجيء الشعر على رأي من آراء النحاة التي انفردوا بها.

أما استشهاده بالشعر فقد جاء لبيان معنى لغوي أو إثبات ظاهرة لغوية أو بيان قاعدة نحوية أو إعراب آية أو توجيه قراءة و تقويتها، وقلّ إيراد الأمثلة التي تبين مدى اهتمام أبي حيان بالأسرار البلاغية في تفسيره وذلك على غير المتوقع منه، حتى صارت هذه السمة – وهي الإقلال من ذكر الأسرار البلاغية- سمة واضحة لمفسري الأندلس والظاهر أن مفسري الأندلس يرون أن حمل كلام الله تعالى على الحقيقة أولى من حمله على المجاز وإن كان محتملاً له، ولهذا قلّ هذا الجانب عندهم، ثم قيل: إن علوم البلاغة والبيان علم مشرقي الأصل والنشأة والاهتمام، والمغاربة لم يهتموا به .

أما منهجه في الإتيان بالشواهد فكان يذكر أوجه الإعراب للفظ القرآني مع توجيهها على المعاني ثم يتعرض لآراء النحويين البصريين والكوفيين وغيرهم ويناقشهم مناقشة علمية ثم يختار لنفسه الرأي الذي تعضده الأدلة وغالباً كان يميل في آرائه إلى البصريين .

فموقفه من المذاهب النحوية فإنه اعتمد أسس البصريين وأحيانا يعالج مسائل لم يتناولها النحويون من البصرة والكوفة وغيرهما، فعند تفسيره لقوله تعالى:﴿غير المغضوب عليهم﴾، قال أبوحيان: فيكون ﴿غير المغضوب عليهم﴾ صفة للبدل وهو﴿صراط الذين﴾ أو بدلامن ﴿الصراط﴾ أو ﴿من الصراط الذين ﴾، وفيه تكرار الإبدال، وهي مسألة لم أقف على كلام أحد فيها.

المصادر والمراجع

- ابن ثور الهلالي، حميد (1965). ديوان حميد بن ثور الهلالي؛ تحقيق: عبد العزيز الميمني، د ط، القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان (1993). سر صناعة الإعراب؛ دراسة وتحقيق: حسن هنداوي، الطبعة الثانية، دمشق: دار القلم
-ابن ضرار، الشماخ (1327هـ). ديوان الشماخ بن ضرار؛ شرح: أحمد بن الأمين الشنقيطي، د ط، مصر: مطبعة السعادة
- ابن كثير، إسماعيل بن عمرو(1999). تفسير القرآن العظيم؛ تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون .
- ابن هشام الأنصاري، جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله (1370ش).مغني اللبيب عن كتب الأعاريب؛ حققه وعلق عليه : مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، راجعه : سعيد الأفغاني، الطبعة الثانية، انتشارات كَلستانه.
- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف (1993).تفسير البحر المحيط؛ دراسة وتحقيق وتعليق : عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، الطبعة الأولى، بيروت : دار الكتب العلمية.
- أبو النجم العجلي، الفضل بن قدامة بن عبيد الله بن الحارث (2006). ديوان أبي النجم العجلي؛ جمعه وشرحه وحققه: محمد أديب عبد الواحد جمران، د ط، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .
- الأحوص الأنصاري، عبد الله بن محمد بن عاصم (1990). شعر الأحوص الأنصاري؛ جمعه وحققه: عادل سليمان جمال، قدم له: شوقي ضيف، الطبعة الثانية، القاهرة: مكتبة الخانجي.
- الأشموني، نور الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عيسى (1955). شرح الأشموني على ألفية ابن مالك المسمى "منهج السالك إلى ألفية ابن مالك"؛ حققه: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتاب العربي .
- البغدادي، عبد القادر بن عمر (1988). شرح أبيات مغني اللبيب؛ حققه: عبد العزيز رباح واحمد يوسف دقاق، الطبعة الثانية، دمشق: دار الثقافة العربية .
- ثعلب،أبو العباس أحمد بن يحيى (1960). مجالس ثعلب؛ شرح وتحقيق: عبد السلام محمد مارون، الطبعة الثانية، مصر: دار المعارف.
- جرير، ابن عطية (1986). ديوان جرير؛ د ط، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر.
- الحديثي، خديجة (1966).أبو حيان النحوي؛ الطبعة الأولى، بغداد : مكتبة النهضة .

حمود، خضر موسى محمد (2003). النحو والنحاة "المدارس والخصائص"؛ الطبعة الأولى، بيروت: عالم الكتب.

- الذهبي، محمد حسين (2000).التفسير والمفسرون؛ الطبعة السابعة، القاهرة: مكتبة وهبة.
- السمين الحلبي، أحمد بن يوسف (د ت).الدر المصون في علوم الكتاب المكنون؛ تحقيق: أحمد محمد الخراط، د ط، دمشق: دار القلم.
- السيرافي، أبو محمد يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان (1974). شرح أبيات سيبويه؛ حققه: محمد على الريح هاشم، راجعه: طه عبد الرؤوف سعد، د ط، القاهرة: دار الفكر– مكتبة الكليات الأزهرية .
-السيوطي، جلال الدين (1361هـ).الأشباه والنظائر في النحو ؛ الطبعة الثانية، حيدر آباد : مطبعة دائرة المعارف العثمانية بعاصمة الدولة الآصفية .
----، ---(1992). همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ؛ تحقيق وشرح: عبد العال سالم مكرم، د ط، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- الشنقيطي، أحمد بن الأمين (1999). الدرر اللوامع على شرح همع الهوامع شرح جمع الجوامع وضع حواشيه: محمد باسل عيون السود، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية .
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (1998).أعيان العصر وأعوان النصر؛ حققه : علي أبو زيد والآخرون ، الطبعة الأولى ،دمشق : دار الفكر
- الطوسي، محمد بن حسن (د ت). التبيان في تفسير القرآن ؛ حققه: آغا بزرگ تهراني واحمد قصير العاملي، د ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي .
- كثير عزة (1971). ديوان كثير عزة؛ جمعه وشرحه: إحسان عباس، د ط، بيروت: دار الثقافة.
- قباوة، فخر الدين (1978).المورد الكبير، الطبعة الثانية، نشر أدب الحوزة.
- القرطبي، محمد بن احمد (1364ش). الجامع لأحكام القرآن؛ الطبعة الأولى، تهران: انتشارات ناصر خسرو.
- المالقي، أحمد بن عبد النور (2002). رصف المباني في شرح حروف المعاني؛ تحقيق: احمد محمد الخراط، الطبعة الثالثة، دمشق: دار القلم .